

خطبة الأسبوع

الكتاب الأخير

(نسخة للطباعة)



الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ، وَأَطِيعُوهُ وَلَا تَعْصُوهُ؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

عباد الله: إِنَّهُ الْكِتَابُ الْأَخِيرُ، وَهُوَ الَّذِي يُجَدِّدُ الْمَصِيرَ؛ فَهُوَ كِتَابٌ كَامِلٌ، وَتَقْرِيرٌ
شَامِلٌ، مِنْ وِلَادَةِ الْإِنْسَانِ وَحَتَّى وَفَاتِهِ؛ إِنَّهُ كِتَابُ الْأَعْمَالِ!

وهذا الكتاب الأخير؛ تفصيلٌ وبيانٌ؛ لكلِّ ما عمِلَهُ الْإِنْسَانُ، مِنْ إِسَاءَةٍ وَإِحْسَانٍ.

قال تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ * هَذَا كِتَابُنَا
يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ*. قال البيضاوي: (كُلُّ أُمَّةٍ
تُدْعَى إِلَى صَحِيفَةِ أَعْمَالِهَا، وَأَضَافَ اللَّهُ صَحَائِفَ أَعْمَالِهِمْ إِلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ
أَنْ يَكْتُبُوا فِيهَا أَعْمَالَهُمْ).

وَنَشْرُ الْكُتُبِ، وَتَطَايُرِ الصُّحُفِ؛ مَرِحَلَةٌ عَصِيبَةٌ، مِنْ مَرَاجِلِ الْقِيَامَةِ! قال ﷺ: (يُحْشَرُ
النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاءَ حُفَاةً). فقالت أُمُّ سَلَمَةَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاسْوَأَاتَهُ! يَنْظُرُ
بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ؟)، فقال ﷺ: (سُغِلَ النَّاسُ). قُلْتُ: (مَا سَغَلَهُمْ؟)، قال: (نَشْرُ

¹ تفسير البيضاوي (5/ 109). بتصرف

الصُّحُفِ، فِيهَا مَثاقِيلُ الدَّرِّ، وَمَثاقِيلُ الخَرْدَلِ!². وقال ﷺ: **(أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ؛ فَلَا يَذْكَرُ أَحَدٌ أَحَدًا) وَذَكَرَ مِنْهَا: (وَإِنَّمَا أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ؛ حَتَّى يَعْلَمَ أَيُّنَ يَقَعُ كِتَابُهُ)**³.

وَكِتَابُ أَعْمَالِكَ؛ هُوَ الَّذِي يَقَرُّ مَالِكَ: وَيُجَدِّدُ مُسْتَقْبَلَكَ الحَقِيقِي، وَمَصِيرَكَ الأَبَدِي! حِينَ تَسْتَلِمُ النَّتِيجَةَ النَّهَائِيَّةَ، عِنْدَمَا تَطِيرُ الصُّحُفُ إِلَى الأَيْدِي! **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾**.

وَكِتَابُ الأَعْمَالِ، يُطَوَّى عِنْدَ المَوْتِ؛ وَيُنْشَرُ عِنْدَ الحِسَابِ؛ قال ﷺ: **﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾**. قال مُقَاتِلٌ: (إِذَا مَاتَ المرءُ طُوِيَتْ صَحِيفَةُ عَمَلِهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ نُشِرَتْ)⁵.

² رواه الطبراني في الأوسط (833). قال الهيثمي: (رجاله رجالُ الصحيح، غير محمد بن موسى بن أبي عياش، وهو ثقة). مجمع الزوائد (10 / 335). وقال البوصيري: (رواه أبو بكر بن أبي شيبة والطبراني في الأوسط بإسنادٍ صحيح، وله شاهدٌ في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة). إتحاف الخيرة (160 / 8).

³ رواه أبو داود (4755)، وقال الحاكم: (هذا حديثٌ صحيحٌ، إسنادهُ على شرطِ الشيخين، لولا إرسالُ فيه بينَ الحَسَنِ وعائِشَةَ، على أَنَّهُ قَدْ صَحَّتِ الرِّوَايَاتُ أَنَّ الحَسَنَ كَانَ يَدْخُلُ - وَهُوَ صَبِيٌّ - مَنْزِلَ عائِشَةَ، وَأُمُّ سَلَمَةَ). المستدرک (8722).

⁴ انظر: فتح القدير، الشوكاني (471 / 5).

⁵ تفسير القرطبي (234 / 19).

وَمِنْ عَدْلِ اللَّهِ: أَنْ جَعَلَ لَكَ كِتَابًا، وَوَكَّلَ بِكَ مَلَكَانِ يَكْتُبَانِ حَسَنَاتِكَ وَسَيِّئَاتِكَ؛
فَإِذَا جَاءَ أَجْلُكَ؛ طُوِيَتْ صَحِيفَتُكَ؛ فَجُعِلَتْ فِي عُنُقِكَ! قال حَجَّالٌ: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ
أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾⁶.

وَيَخْرُجُ لِلْإِنْسَانِ كِتَابُ عَمَلِهِ؛ فَيَلْقَاهُ مَفْتُوحًا أَمَامَهُ؛ قال حَجَّالٌ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ * أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.
قال بعضهم: (عَدَلٌ - وَاللَّهُ - مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ!).⁷

وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ؛ فَيَفْرَحُ فَرَحَةً مُدَوِّيَةً؛ ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ﴾
﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ﴾. وجاء في الحديث:
(يُدْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَفَّهُ، فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ:
هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَعْرِفُ! قال: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُمَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي
أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ! فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى
رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ!)¹⁰.

وَيَقْفُ الْمُجْرِمُونَ عَلَى كِتَابِ أَعْمَالِهِمْ، وَقَدْ أَطْلَعُوا عَلَى مَا فِيهَا مِنْ تَسْجِيلٍ كَامِلٍ،
لِلْجَرَائِمِ الَّتِي كَانُوا يَتَفَنَّنُونَ فِي ارْتِكَابِهَا! وَحِينَئِذٍ يَدْعُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْوَيْلِ؛

⁶ انظر: تفسير الطبري (400 / 17).

⁷ أي أَنَّ عَمَلَهُ لَازِمٌ لَهُ، لُزُومَ الْقِلَادَةِ لِلْعُنُقِ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ، وَسَيُحَاسَبُ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ. انظر: تفسير
النسفي (249 / 2).

⁸ قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾: يَعْنِي صَحَائِفَ الْأَعْمَالِ تُنْتَشَرُ لِلْحِسَابِ.

انظر: تفسير البغوي (216 / 5).

⁹ تفسير الطبري (400 / 17).

¹⁰ رواه البخاري (4685)، ومسلم (2768).

لِقُتُوعِهِمْ فِي الْهَلَاكِ، وَالْيَأْسِ مِنَ الْفِكَاكِ! ¹¹ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ¹². يَقُولُ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: (يَا وَيْلَتَاهُ! ضَجُّوا إِلَى اللَّهِ مِنَ الصَّغَائِرِ قَبْلَ الْكِبَائِرِ) ¹³.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ

عِبَادَ اللَّهِ: الْأَيَّامُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَسَطَّرُوا فِيهَا أَحْسَنَ الْأَفْعَالِ! قَالَ ﷺ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبْرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ ¹⁴. قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: (أَيُّ كُلِّ مَا فَعَلُوهُ مَكْتُوبٌ فِي صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ) ¹⁵.

¹¹ انظر: فتح القدير، الشوكاني (3/ 346).

¹² اختلف في (عصاة الموحدين): فقيل: يأخذون كتبهم بأيامهم، وقيل: بشمائلهم. وعلى القول بأيامهم يأخذونها بأيامهم: قيل: يأخذونها قبل الدخول في النار؛ فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها، وقيل: يأخذونها بعد الخروج منها. انظر: لوامع الأنوار البهية، السفاريني (2/ 183).

¹³ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (10/ 419).

¹⁴ ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾: أي: كل صغير وكبير أي من أعمالهم ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾: أي مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. انظر: تفسير ابن كثير (7/ 450).

¹⁵ التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (2/ 326).

والسعيدُ: هو مَنْ طَهَّرَ كِتَابَهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَمَلَأَهُ بِالْحَسَنَاتِ. قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا)¹⁶.

فبادروا إلى تطهير صحائفكم بالتوبة والاستغفار، ولا تُسوّدوها بالذنوب والإصرار!
﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

* **اللَّهُمَّ** يَمِّنْ كِتَابَنَا، وَيَسِّرْ حِسَابَنَا، وَثَبِّتْ عَلَيَّ الصِّرَاطَ أَقْدَامَنَا.
* **اللَّهُمَّ** أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمَشْرِكِينَ.
* **اللَّهُمَّ** فَرِّجْ هَمَّ الْمَهْمومِينَ، وَنَفْسَ كَرْبِ الْمَكْرُوبِينَ.
* **اللَّهُمَّ** آمِنَّا فِي أوطَانِنَا، وَأصْلِحْ أئِمَّتَنَا وَوِلَاةَ أُمُورِنَا، وَوَفِّقْ (وَلِيَّ أَمْرِنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ) لِمَا نُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتَيْهَا لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى.
* **عباد الله:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.
* فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



قناة الخطب الوجيزة
<https://t.me/alkhutab>

¹⁶ رواه ابن ماجه (3818)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3930).